حديقة المقتطف

نفحة المطر

قصة لهنري دو فرنواي

الحديقة المهجورة

للشاعر الفرنسي ألبره دوماسي

[نقلها خليل هنداوي ناقل جميع القطع في حديقة المقتطف في العدد الماضي]

هياكل بيدو في عاصفه ثلج

| المصور الخاص هد شعبي |

نقمة العطر

قصة لرسرى دوفرنواى

كان أندره هورنو اذا ترك المصرف الذي يعمل فيه ، يقفز الى سيارة اجرة ويقول للسائق « اسرع الى حدائق التويلري » . فاذا بلغها اجتاز الشارع العريض يستخفه الامل بلقاء لوسين جاتيير قادمة من الناحية المقابلة في طريقها الى بيتها من محل عملها في مكتبة على ضفة السين اليسرى . وكان قلبه يثب فرحاً مرتين او ثلاث مرات في الاسبوع عند ما تقع عيناه عليها . وكانت وجنتا الفتاة تتوردان حياء ، فتقبل ان تقف معه هنيهة ويدور بينهما حديث قصير

وفي احد الايام رأت لوسين اندره واقفاً تحت شجرة وكأنه يحدق في الافق فردت تحيته ومضت في سبيلها

ولقيته بعد يومين فقالت له « يجب ان لا تنتظرني . فالرجل الذي ينتظر تبدو عليه سيماء السخف . ثم انه يورط الفتاة التي ينتظرها »

فامتنع اندره بعد ذلك عن المكث في مكان واحد منتظراً فتاته . فاذا بكرت لوسين خمس دقائق ، او اذا تأخرت خمس دقائق ، كان يضيع عليهما التلاقي . ولكنه تبين ان الفتاة تحبه . ذلك انها سألته في احد الايام عن الوقت وضبطت ساعتها على ساعته . فكان ذلك كافياً في نظرهما لانهما بعد ذلك اليوم كان لا يسبق احدهما الآخر ، ولا يتأخر احدهما عن الآخر ، في الوصول الى حدائق التويلري . ولاحظ في يوم آخر ، انه لما اعترضت حركة السيارات سبيله في اجتياز الشارع ، عهلت في سيرها حتى لا تبتله

فقال لها : وددت لو اقبل ذلك الحذاء الرصاصي الذي أخرك عن السير

فقالت : كنت ارغب ان لا افوت لقاءك اليوم

فقال : ما أعظم عطفك !

فقالت : لا تسألك بالله بماذا يجب ألاّ نلتقي بعد اليوم

فقال : وأي ضرر من اجتماعنا ؟

فقالت : ذلك هو السؤال الصغير الذي يحدث معظم النكبات العظيمة

فقال : اني لست غريباً عنكِ . فقد قدّمتُ اليك وفتاً للتقاليد ، في حفلة شاي أقامها أحد أصدقائنا

فقالت : اعلم ذلك . . وعلاوة على ذلك ليس عليّ ان اقدّم حساباً لاحد عمّا افعل ، الاّ لوالدتي ، وهي تثق بي ثقة عمياء

فقال . وبعد ذلك ؟ ان والديّ يثقان بي كذلك ثقة عمياء . انهما رحبا الصدر . ولكنّ جدّي — ولا يزال مقدّم الاسرة ورئيسها — كنا نرتجف خوفاً منهُ

فقالت : وأنت ترتجف كذلك ؟

فقال : وفتاً للتقاليد

فقالت : فني هذه الحال جديرٌ بنا بأن نتصافح وأن لا نعود الى الاجتماع ثانية . انني ارتاح الى لقائك ، ولكن لي كرامةٌ . لا أنكر انني اسعد بزواجك ، الاّ انني أرى ان ذلك مستحيل . فسوف تتزوج أنت وفتاً لتقاليد سنة ١٧٧٨ عروساً يختارها لك جدّك . وارجو ألاّ تسيء فهمي . فأنا لا اعترض بأسرتك ، وانما ارجو أن لا تقطع سبيلي مرةً اخرى . واذا اتفق اننا التقينا فأرجو ان لا تحييني

كان الفسق يسير حدائق التويلري بجلباب وردي رقيق . وكان الحديث بين اندره ولوسين ، قد أخذ يزداد حماسة وحرارة ، فردّ اندره بعنف على لوسين ، وظلّت هي محتفظة برباطة جأشها وحسن ادبها ، ولكنها كادت في ردودها عليه ، تتهمهُ بالجنون . ولكنّ النهار كان قد اخذ يولي الادبار ، وكان الشفق جميلاً يدبُّ في النفوس تتحنُّ ، فبدت التويلري أخاذة ، وكانا يمشيان احدهما الى جنب الآخر ، فكل كلام لا شأن لهُ ولا وزن . فضيا في الحديث ، لا لشيء ، الاّ ليسمع كل منهما صوت صاحبه ، فكانا في تلك الدقيقة اقرب ما يكون احدهما الى الآخر ، مع ان الدلائل كانت تدلُّ على انهما على مفترق الطريق

فتوسل اندره قائلاً : امهليني اسبوعاً

فقالت : طبعاً يا صديقي ، امهلك كل الاسابيع التي تريد

فقال : بعد اسبوع تماماً ، نلتقي هنا

فقالت : قد نلتقي

فقال : عديني بذلك والاَّ انتحرت

وكأن لوسين قد احست بدافع من فطرتها السليمة ، بخوف الفضيحة وخشيت حالة اندره الذهنية والنفسية فأغضت رأسها ، قبولاً للوعد بالوفاء ، ثم ولَّته ظهرها واختفت في زحام شارع ريفولي

فأسرع اندره الى داره ، الى والديه ، كالعاصفة ، وأخذ يصف بكل ما يستطيعه من القوة والبلاغة حبه للوسين . فقيل له ان يذهب الى جده ، فاندفع اليه ثائراً فوجده يتناول طعام العشاء وجده

فقال المسيو لوجرشان : وقت غريب تجيء فيه لافلاق راحة الناس . وقت العشاء

وكان الخادم يقدم للشيخ حساء الشعير في كأس فضية وجاء بعد الحساء الفاكهة المطبوخة . ثم احتسى الشيخ بعد ذلك فنجاناً من شاي خاص النكهة ، قبل أن سمح لحفيده بالكلام . فكان اندره عندها قد فقد كثيراً من اندفاعه وحماسته وثقته بنفسه . وكان المسيو لوجرشان قد قضى خمسين سنة في خدمة بلاده الدبلوماسية ، فتعلم كيف يهدىء الروع ، ويخفف سورة الحمى ويثني السائل عن السؤال بأشارة لطيفة . فلما سمع من اندره حديثه وعزمه على الانتحار إذا لم يجب طلبه الخاص بلوسين ، هزَّ الشيخ كتفه غير مبالٍ

قال الشيخ : ابعث لي بهذه المخلوقة يوم الاثنين القادم في الساعة الخامسة . اني أود أن أراها

وكذلك انتهت المقابلة بين الحفيد وجده

كانت كلمات الشيخ الاخيرة ، مفرغة في قالب من الحزم والفتور ، حمل الفتى على الاضطراب ، ولكنه توسل الى لوسين ، ان تلبي الطلب

فقالت : أوليس من الغريب . كل هذا ؟ اني لم اطلب اليك طلباً ما . فانت الذي يعنى في التحدث عن الزواج . ثم مرة اخرى تقترح عليَّ ان اتوسل الى جدتك الكريم !

فقال : لا . لا تتوسلي اليه

فقالت: ولكن ذهابي يعني التوسل . ان ذلك يجرح كرامتي ولست ارى فائدة ما تجنى منه. ماذا استطيع ان اقول له

فقال لا تقولي شيئاً . دعيه يتكلم

فقالت : اذن تريدني ان اتقدم للامتحان. ليس هذا بالامر الذي ارتاح اليه

وكانت في خلال تفكيرها في الموضوع ، لم تلاحظ ان اندره اخذ ذراعها بيده فأحسّت عندها ، ان قوة خارجة على سيطرتها ، تربط بينهما . فسرتها موجة من الحنان والرضى وقبلت أن تذهب لمقابلة الجد الشيخ . ولما كانت فتاة ذكية ، في قصها حبُّ المغامرة ، رأت في صعوبة المقابلة ، شيئاً يسهرها ويستخفها . ففكرت في الموضوع طوال الليل . فلما تنفس الفجر هبط عليها الحلُّ في لمحة من لمحات الالهام ، في شكل فكرة ، يطاردها الانسان ، فاذا هي في الغالب كالغزال النافر قلما يظفر بها

وذهبت في صباح اليوم التالي ، الى دكان عطار مشهور وطلبت ان تقابل المدير فلما دخلت عليه ، قالت له : لقد دعيتُ الى حفلة ساهرة راقصة ، وأثواب المدعوين يجب ان تكون جميعها من طراز ما كان يلبس من ستين سنة . وقد ظفرت بثوب من سنة ١٨٦٨ تامًّا في جميع تفصيلاته . وما كنت ارغب في ان يكون كل ما البسه او احمله منسجماً مع زي ذلك العهد ، رأيت أن اسألك عن زجاجة صغيرة من العطر الذي كان شائعاً حينئذٍ لاتعطّر بضع قطرات منه

فقال المدير : ان سؤالك مستجاب على اهون سبيل . فمن حسن الحظ انه لايزال عندنا مقدار من هذا العطر فاسمحي لي ان اقدم لك قنّاً صغيراً منه ، ولا اطلب منك الاّ ان تتفضلي علينا بصورتك في ثوبك هذا ، موقعة منك

فقالت : اذا أخذت ضرراً ما فيسرني ان اقدم لك احداها . وفي الساعة الخامسة من يوم الاثنين اقبلت لوسين الى بيت اندره ودخلت بتحيته على الجد العبوس

فلما رآها الشيخ قال لحفيده : اما انت فاذهب الى الغرفة المقابلة وابحث عني فيها ! ثم قال للفتاة : وأنت يا بنيتي .... ليس عليّ ان ابشك ان هذا الفتى معتوه ... اقتربي مني ... اصغي الى ما اقول ..... فاقتربت لوسين من لوجرشان . . وكان هو قد اعدّ خطبة وجيزة بدأها بقوله . . « اذا انت لم تدعي هذا الفتى الابله وشأنه واذا اصررت على جره الى زواج هو في نظري ضرباً من الجنون . . فعليك ان .... » ولكنه لاول مرة في حياته تردد في القول . . تردّد . . لان نفحة من عطر هبت عليه ، فخفق قلبهُ لها ، نفحة عطر كاد يطغى عليه منقولاً على اجنحة الذكرى ، من اعماق الشباب

فقال الشيخ في نفسه : اين استنشقت هذا العطر . . . اي نعم . . . ماري . . . نعم فاح هذا العطر من ماري خطيبته اذ كان منحنياً فوق رأسها يقطع لها عهد الولاء الى الابد !

وساد الصمت الرهيب . لقد عرف الشيخ العطر . ولما عرفهُ حاول ان يكمل خطابهُ فعجز . ذلك أن قوة خفية كانت قد تغلبت عليه . لان ملاك الذكريات الحلوة كان مرفرفاً فوقهُ . . . فقال :

ولا تنسي — اقول لك لا تنسي . يجب ان تكوني اذكى واحكم من اندره . لقد حذرتك . . .

وفتح الباب ونادى حفيده قائلاً : تعال الآن يا ابله . لقد عرفتُ ما اريد ان اعرف . انك بُؤت بالنصر . فاذهبا بسلام

ولما خرجا . اغلق المسيو لوجورشان نوافذ الغرفة ، واسدل الستائر . وتهالك على كرسي فخم مريح ، كأنهُ يحاول ان يأسر نفحة العطر ، التي تركتهُ عاجزاً امام غرام الشباب !

الحديقة المهجورة

للشاعر الفرنسي الزرد دوماسي

« من ديوانه مشاهد »

وكان الخريف يبدو فيها رقيقاً حائراً . . .
تنظر الى الماء فتحس ان بقية من الحياة تفيض على وجهه
وترى الاشجار في المساء تنثر أوراقها رويداً رويداً

ها هنا كنا نبكي في عهد غبرت أيامه .
ولكن الذي يتركه العاشقان من روحيهما لا تقدر على ابادته الفصول .

أو في أعماق كل مدرج اثارة منها تشهد عليها
تبدو كأنها نفحة من رقته لا تتلاشى أبداً
والماء الهابط رويداً رويداً ، الماء العذب الكئيب لا يزال يعكس
للعين ألوان ردائها الزيتي

ألا قل للهجر والنسيان : انكما تعملان عبثاً في سلخها عني !
اني اجدها في كل مكان او أنظرها في كل الاكوان .
تقر في النسيم نفحة من شذاها
والماء الهامد لا يزال يرتعش لصداها !

[نقله خليل هنداوي]